المحاضرة الأولى مقياس: نظريات التنمية

إعداد: د. أمين حواس

1. الدفعة الكبرى Big Push

صاغ الاقتصادي النمساوي Paul Rosenstein-Rodan إحدى أوائل النظريات تُفسر كيفية تهيئة ظروف بلد ما لإحداث التقدم الاقتصادي، وذلك من منطلق أن النمو والتنمية لا تحدث من تلقاء نفسها. وبناء على بحث أجراه خلال الحرب العالمية الثانية وبعد تحليل الهياكل الاقتصادية لعدد من أمم شرق وجنوب شرق أوروبا الفقيرة، خلص Rosenstein-Rodan لعدد من الاستنتاجات شكلت اللبنة الأساسية لمجال اقتصاديات التنمية الذي ظهر بعد الحرب.

ركز Rosenstein-Rodan جهوده على فهم "الإمكانات الخفية Hidden Potentials" للتنمية الاقتصادية في المناطق الأقل تقدما، وتمحور جل عمله لفهم الاستفادة الممكن تحقيقها من العوائد المتزايدة لتأسيس مشاريع التصنيع الكبرى المخطط لها والتي تشمل عددا من القطاعات الرئيسية للاقتصاد في آن واحد. يُمكن أن تُؤدي "دفعة كبرى" من الاستثمارات الصناعية المتزامنة إلى إطلاق ردة فعل متسلسلة من الحلقات الفاضلة والاستثمارات التكميلية تنتشر في اتجاهات عديدة داخل النظام الاقتصادي، وستُؤدي الاستثمارات واسعة النطاق في فروع الصناعة إلى خلق تفاعل تعاوني إيجابي بين هذه الفروع وعبر القطاعات. لقد رأى Rosenstein –Rodan إذا أرادت البلدان الأقل تقدما بدء عملية التنمية الاقتصادية يجب على حكوماتها إحداث دفعة منسقة وجوهرية لخلق هيكل صناعي بالكامل بفعالية على شكل مشروع واحد ضخم ومتشابك للتغلب على الجمود المتأصل في الاقتصاد الراكد عكس ما تدعو إليه استراتيجية التدرج (المحكوم عليها بالفشل).

و في الوقت الذي تم التركيز فيه على الإمكانات الخفية للاستثمارات المستقبلية واسعة النطاق مع كل زيادة متتالية للاستثمار(تُمارس تأثيرا قويا و متزايدا على توسع الناتج بمعدل متصاعد)، أكد Rosenstein-Rodan في الوقت ذاته عدم إمكانية بلوغ هذه المكاسب المحتملة في إطار سوق بحت المرجع أو ذاتي التنظيم: من غير الممكن أن يستثمر رواد الأعمال ما يكفي لدفع اقتصاد أقل تقدما إلى الأمام بأقصى معدل محتمل، لأنه في إطار حسابات "الربح-الخسارة" سيكون الإطار المرجعي لرجال الأعمال محدودا للغاية –لا يهتم منتجو الحديد و الصلب يحققون أقصى ربح ما إذا كانت استثماراتهم الخاصة "كبيرة بما فيه الكفاية" ستُؤدي لظهور استثمارات أخرى و إحداث تقدم تقني في قطاع المعادن يجعل هذه الصناعة أكثر ربحية. لا يأخذ صناع القرار الخواص في صناعة الحديد والصلب بعين

الاعتبار تأثير الروابط الخلفية التي قد تُثيرها تدابير الاستثمار في صناعة الصلب لأن هذه الشركات لا يُمكنها الاستفادة (بشكل مباشر) من هذه الصناعات العرضية أو حتى حساب احتمال ظهور أو نجاح هذه الشركات المرتبطة بها.

باستخدام مصطلحات Rosenstein-Rodan، لا يُمكن لصناعة الصلب تقدير الفوائد المستقبلية المحتملة التي يُمكن كسبها في قطاعات أخرى خارجة عن نطاق أعمالهم لذا لا تُؤخذ هذه الآثار في الاعتبار عند اتخاذ القرارات الاستثمارية الخاصة بهم، وبسبب فشل المعلومات والتقدير، ستقود قرارات السوق مستوى الاستثمارات إلى دون الأمثلي من وجهة نظر المجتمع ككل. كان Rosenstein-Rodan مقتنعا أن هذه الإمكانات الخفية لتوسيع الإنتاج في الاقتصاديات الأقل تقدما لم تُستغل بعد بسبب عدم قدرة اقتصاد السوق على تنسيق قرارات الاستثمار العديدة والمتزامنة الواجب اتخاذها: تُصور أفكار Rosenstein-Rodan السوق ككيان غير قادر على التنسيق المناسب لجميع الأنشطة الاستثمارية المطلوبة لضمان التصنيع، لذا هناك حاجة إلى مصادر خارجية للاستثمار الرأسمالي لإحداث انطلاقة نحو تحقيق نمو مستدام.

لا تحدث التنمية الاقتصادية لأن آليات القطاع الخاص في المجتمعات الأقل تقدما تتبنى قرارات اقتصادية دون المستوى الأمثلي، لذا هناك حاجة لمزيد الاستثمار في أماكن متعددة في آن واحد من أجل تحويل الاقتصاد بعيدا عن فخ توازني ذات مستوى منخفض ونحو نمو مستدام وسريع. تتمثل أهمية هذه العملية في توفير رأس المال الاجتماعي العام أو البنية التحتية الاجتماعية: الطرق، الجسور، أنظمة الاتصالات، المستشفيات، المدارس، المرافق الصحية، الطاقة.... وما إلى ذلك والتي تُولد فوائد خارجية إيجابية للمجتمع ككل.

على سبيل المثال، إذا تم بناء مدارس خاصة بدافع الربح ستكون متاحة فقط لأبناء أولئك القادرين على دفع المصاريف المدرسية، في المقابل من غير المرجح أن يكتسب الأطفال الأذكياء والطموحين من الأسر الفقيرة المهارات اللازمة وبالتالي تكون القوى العاملة في المجتمع تحت المستوى الكافي وتعمل دون إمكاناتها نتيجة لذلك. قد لا تتحقق الإمكانات الخفية للقوى العاملة المستقبلية إذا تُرك للسوق فقط توفير رأس المال الاجتماعي العام كالمدارس (هذا هو الإطار الذي استخدمه Rosenstein-Rodan وآخرون عندما جادلوا أن آلية السوق لن تخلق رأس المال الاجتماعي العام بشكل كاف). يُظهر نموذج الدفعة الكبرى كيف لوجود مظاهر فشل التنسيق (السوق) أن يُبرز الحاجة إلى جهد متضافر على نطاق الاقتصاد كله تقوده السياسة العامة لبدء عملية التنمية الاقتصادية طويلة المدى أو تسريعها، بعبارة أخرى تعمل مشاكل فشل التنسيق ضد التصنيع الناجح.